الدرس الثالث: أصول التفسير 229 سلم

رابعاً: تفسير القرآن بأقوال التابعين : ([[1]](#footnote-1))

لما كان التابعون قد تلقوا التفسير عن الصحابة مباشرة، وكانوا في عصر الاحتجاج اللغوي، فلم تفسد ألسنتهم بالعجمة، وكان لهم من الفهم وسلامة المقصد ما لهم، كل هذا جعل من جاء بعدهم يرجع إلى أقوالهم في التفسير، ويعتمدها.

مصادرهم في التفسير:

مصادرهم في التفسير هي مصادر الصحابة نفسها، إلا أنهم يزيدون بمصدر الصحابة. ([[2]](#footnote-2))

وهي كالتالي:

1 - القرآن الكريم.

2 - السنة النبوية.

3 - الصحابة.

4 - اللغة.

5 - أهل الكتاب.

6 - الفهم والاجتهاد.

وهم يُعَدُّون مصدراً لمن جاء بعدهم.

1 - القرآن الكريم:

اجتهد التابعون في بيان القرآن بالقرآن، ومن خلال تفسير الطبري كان ابن زيد ([[3]](#footnote-3)) رحمه الله تعالى أكثرهم اعتناء بهذا الطريق، ومن أمثلة ذلك تفسير قوله تعالى: {قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا} [الطلاق: 10].قال: «القرآن روح الله، وقرأ: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} [الشورى: 52] إلى آخر الآية، وقرأ: {... قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا \* رَسُولاً} [الطلاق: 10، 11] قال: القرآن، وقرأ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ} [فصلت: 41] قال: بالقرآن، وقرأ: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}

2 - السنة النبوية:

للتابعين في اعتماد السنة النبوية طريقان:

الأول: أن يذكروا السند إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ويَعُدُّ بعض الباحثين هذا النوع من تفسير التابعين ([[4]](#footnote-4))، والصحيح أنه من التفسير النبوي؛ لأن التابعي ذَكَرَ ما بلغه عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم ولم يُفسر.

والثاني: أن يذكر ما بلغه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم دون ذكر السند، وهذا وإن كان مرسلاً إلا أنه يدل على اعتماد التابعين التفسير النبوي في تفسيرهم، ومن ذلك ما أخرجه الطبري عن الحسن في تفسير قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ} [المائدة: 27]، قال الحسن: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً، فخذوا من خيرهم ودعوا الشر» ([[5]](#footnote-5))**وقال في قوله تعالى: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة: 17]، بلغني أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «قال ربكم: أعددت لعبادي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». ([[6]](#footnote-6))**

**4 – اللغــة:**

**لا يزال التابعون في عصر الاحتجاج اللغوي، وقد كان لهم في تفاسيرهم اعتماد على اللغة، وهذا ظاهر في تفاسيرهم ومن ذلك:**

**قوله تعالى: {وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ} [ق: 10] قال مجاهد، وقتادة، وابن زيد: الباسقات: «الطوال» ([[7]](#footnote-7)) .**

**5 - أهل الكتاب:**

**كان رجوع التابعين إلى أهل الكتاب أكثر من رجوع الصحابة ([[8]](#footnote-8))، ولكن يبقى الأمر في أن ما روي عنهم من أخبار إسرائيلية فهو في حكم الإسرائيليات، ولعلهم كانوا يذكرونه من باب العلم والرواية لا من باب التفسير ـ والله أعلم ـ، وتظهر كثرة مروياتهم عن بني إسرائيل من خلال تفاسيرهم، ومن ذلك: ما رواه الطبري عن بعض التابعين في مائدة النصارى:قال أبو عبد الرحمن السلمي: نزلت المائدة خبزاً وسمكاً. وقال عطية: المائدة سمكة فيها طعم كل الطعام ([[9]](#footnote-9)) .**

**6 - الفهم والاجتهاد:**

**اعتمد التابعون فهمهم واجتهدوا في تفسير القرآن، وإبراز فوائده، وكان بينهم في ذلك اختلاف، نظراً لأن مرجع ذلك هو عقولهم وعلومهم، وهي تختلف باختلاف أشخاصهم، ولذا فقد يكون لهم في فهم الآية أكثر من معنى، وكل معنى مبني على ما [37] سبق من المصادر المذكورة سابقاً؛ كاختلافهم في إنزال المائدة، واختلافهم في القرء، والبروج، والعاديات، وغيرها.**

**ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ} [عبس: 20]، قال السدي، وقتادة: يسَّر خروجه من بطن أمه.**

**وقال مجاهد، والحسن، وابن زيد: يسَّر سبيل الخير والشر ([[10]](#footnote-10)) .**

**حكم تفسير التابعي:**

**لتفسير التابعي أقسام كما سبق في تفسير الصحابي، ولذا لا يحكم عليه بالعموم من حيث القبول والرد، وهذه الأقسام هي:**

**1 - ما يرفعه التابعي، وهذا يشمل أسباب النزول والمغيبات؛ كتفسير مجاهد لقوله تعالى: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: 79] قال: إقعاده على العرش ([[11]](#footnote-11)) .** **فمثل هذا القول لا يقبل؛ لأنه من قبيل المراسيل، والمراسيل لا تقبل في مثل هذا الانفراد، أما إذا أجمعوا عليها فإنها في حكم ما أجمعوا عليه.**

**2 - ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب، وهذا له حكم الإسرائيليات.**

**3 - ما أجمعوا عليه، وهذا يكون حجة ([[12]](#footnote-12))**

**4 - ما اختلفوا فيه، وفي هذا القسم لا يكون قول أحدهم حجة على الآخر ([[13]](#footnote-13)) ، ويعمل هنا بالمرجحات التي سترد في قواعد الترجيح.**

**5 - أن يرد عن أحدهم ولا يُعلم له مخالف، وهذا أقل في الرتبة من الوارد عن الصحابي إذا لم يعلم له مخالف، لكنه أعلى من قول من تأخر عنهم.**

**تنبيهات حول تفسير الصحابة والتابعين:**

**1 - لا بد من الاعتناء بصحة السند، وإلا اعتبر القول قولاً مجرداً في التفسير ([[14]](#footnote-14))**

**2 - لا بدّ من جمع طرق التفسير عن الصحابي أو التابعين، لتمييز الاختلاف في الرواية عنهم والنظر فيها، مثل ما روي عن ابن عباس في تفسير الكرسي بأنه العلم، أو بأنه موضع قدمي الرحمن. قال أبو منصور الأزهري: «والصحيح عن ابن عباس في الكرسي ما رواه الثوري وغيره عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير [39] عن ابن عباس أنه قال: الكرسيُّ:موضع القدمين، وأما العرش فإنه لا يُقدر قدره»، وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها، والذي روي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلمُ، فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار ([[15]](#footnote-15)) (1).**

**3 - إذا صح عن الصحابي أو التابعي قولان مختلفان في التفسير ولا يمكن الجمع بينهما فهما كالقولين، إلا إذا دل الدليل على أنه رجع عن أحدهما.**

**4 - جمع مرويات الصحابة والتابعين في تفسير الآية أدل على المقصود، ولذا يلزم الاهتمام بجمع مروياتهم فيها ([[16]](#footnote-16)) (2).**

**5 - ليس كل اختلاف وارد عنهم يعد اختلافاً؛ كما سيرد في «اختلاف التنوع».**

**6 - هل يجوز إحداث قول بعد إجماعهم على قول في الآية أم لا؟ ([[17]](#footnote-17)).**

**في المسألة تفصيل:**

**إن كان القول المُحدث مضادّاً لقولهم فهو مردود غير مقبول.**

**وإن كان غير مضاد بل تحتمله الآية، فإنه يقبل.**

**خامساً: تفسير القرآن باللغة**

**المقصود به تفسير القرآن بلغة العرب ([[18]](#footnote-18)) . وسبب اعتبار هذا طريقاً من**

**طرق التفسير هو: نزول القرآن بلغتها، واعتماده أساليبها في الخطاب.**

**ومما يدل على اعتبار اللغة طريقاً من طرق التفسير الحديث السابق ـ في التفسير النبوي ـ عن استشكال الصحابة للظلم، في قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: 82]، ووجه دلالة هذا الأثر أن الصحابة قد فسروا الظلم بما يعرفونه من لغتهم، ولم ينكر عليهم الرسول صلّى الله عليه وسلّم هذا، بل أرشدهم إلى المراد بالظلم في الآية.**

**ومما يدل عليه ـ كذلك ـ اعتماد الصحابة والتابعين على اللغة في تفاسيرهم، واستشهادهم بأشعار العرب وأساليبها لبيان المعاني اللغوية في القرآن.**

**وقد حكى صاحب كتاب «مقدمة المباني» إجماع الصحابة على جواز تفسير القرآن باللغة ([[19]](#footnote-19))**

**ومن ذلك تفسير (الساهرة) بالأرض، فقد ورد ذلك عن ابن عباس، وعكرمة، والحسن، وقتادة، ومجاهد، وسعيد، والضحاك، وابن زيد ([[20]](#footnote-20)) (2).**

**بل شدد العلماء على من فسَّر القرآن وهو غير عالم بلغة العرب؛ كما روي عن مالك ومجاهد وغيرهما.**

**قال مالك: «لا أوتى برجل يفسِّر كلام الله وهو لا يعرف لغة العرب إلا جعلته نكالاً» ([[21]](#footnote-21))**

1. () فصول في أصول التفسير للطيار(ص: 51) . [↑](#footnote-ref-1)
2. () كما يمكن أن يكون التابعي مصدراً للتابعي. [↑](#footnote-ref-2)
3. () ابن زيد من أتباع التابعين وليس من التابعين، فقد توفي سنة 182، ويمكن أن ينظر في ذلك تفسير مجاهد لقوله تعالى: {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ} [عبس: 20] بقوله تعالى {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: 3]. «تفسير الطبري» تحقيق: عبد الله التركي (24/ 112). [↑](#footnote-ref-3)
4. () أورد الدكتور محمد عبد الرحيم في كتابه (تفسير الحسن البصري جمع وتوثيق ودراسة) (1/ 220)) عند تفسير قوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران: 85] ما رواه الإمام أحمد بسنده عن الحَسَن، حَدَّثنا أَبُو هُرَيْرَةَ، إذْ ذَاكَ وَنَحْنُ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: «تَجيءُ الأعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَجِيءُ الصَّلاةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصَّلاَةُ. فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ. فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصَّدَقَةُ. فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ. ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ: أَيْ يَا رَبِّ، أَنَا الصِّيَامُ. فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ. ثُمَّ تَجِيءُ الأعْمَالُ، كُل ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الإسْلامُ فَيَقُولُ: يَا رَب، أَنْتَ السَّلامُ وَأَنَا الإسْلامُ. فَيَقُولُ اللهُ [تَعَالَى]: إَنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي، قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}. وأنت تعرف أن الحسن (ت:110) هنا إنما هو ناقل، وليس قائلاً، ومثل هذا لا يسمى على الصحيح، تفسيره، بل هو تفسير منقول عمَّن فسَّر، وهو النبي صلّى الله عليه وسلّم؛ كما في هذه الرواية. [↑](#footnote-ref-4)
5. () «تفسير الطبري» (6/ 199). [↑](#footnote-ref-5)
6. () «تفسير الطبري» (21/ 106). [↑](#footnote-ref-6)
7. () «تفسير الطبري» (26/ 153). [↑](#footnote-ref-7)
8. () انظر: «مقدمة في أصول التفسير» (ص58). [↑](#footnote-ref-8)
9. () انظر: «تفسير الطبري» (7/ 133). [↑](#footnote-ref-9)
10. () انظر: «تفسير الطبري» (30/ 55). [↑](#footnote-ref-10)
11. () انظر: «تفسير الطبري» (15/ 145)، وقد روي ما يخالف قول مجاهد، وهو ما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أن المقام المحمود هو الشفاعة. [↑](#footnote-ref-11)
12. () انظر: «مقدمة في أصول التفسير» (ص62). [↑](#footnote-ref-12)
13. () انظر: «مقدمة في أصول التفسير» (ص58). [↑](#footnote-ref-13)
14. () راجع ما ظهر لي – د. مساعد الطيار- بعد ذلك من تحرير ما يتعلق بأسانيد التفسير في كتابي «مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير» (ص300 - 308)، وقد عقّب على هذا الشيخ عبد الله الجديع «ملتقى أهل التفسير»، وللشيخ الدكتور حاتم الشريف محاضرة في هذا الباب «ملتقى أهل التفسير»، وكذا للأخ محمد صالح محمد سليمان في كتابه «اختلاف السلف في التفسير بين النظرية والتطبيق» كلام حول أسانيد التفسير (ص218 - 263). [↑](#footnote-ref-14)
15. () «تهذيب اللغة» (10/ 54). [↑](#footnote-ref-15)
16. () انظر: «مقدمة في أصول التفسير» (ص54). [↑](#footnote-ref-16)
17. () انظر: «التمهيد في أصول الفقه» للكلوذاني (3/ 321)؛ «أضواء البيان» (3/ 124)؛ وانظر: «مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير» (ص230 - 232). [↑](#footnote-ref-17)
18. () يراجع رسالة الدكتوراه «التفسير اللغوي للقرآن الكريم»، وهي من مطبوعات دار ابن الجوزي. [↑](#footnote-ref-18)
19. () مقدمتان في علوم القرآن (ص201)، قال: «ومن الدليل على ذلك أيضاً إجماع أصحاب رسول الله على تفسير القرآن على شرائط اللغة»، ثم ساق أمثلة لذلك. [↑](#footnote-ref-19)
20. () انظر: «تفسير الطبري» (3/ 36، 37). [↑](#footnote-ref-20)
21. () أخرجه الواحدي في «البسيط» (1/ 219)، [↑](#footnote-ref-21)